الامال بالمتعلمات

اهنئك ايتها الحسناء بتوور عاملين تجلى ظهورك بين فتيات سوريا المخلصين الوطن اجل الخدم فتلبين الخدور وتشرحين الصدور بما تنشرين من سامي الافكار وصائب الاراء . اهنئك حلولك بين قوم عرفوا قدرك وسمو قصدك فاحلوك بين ظهرانيهم محلاً رفيعاً . فالى الامام تقدمي يا خير الرفاق وابقي مشيرة تجلى خطئك الشريفة بلا ملل

اني اميل بشوق الى التحدث معك كما تعلمين ولا يؤخرني عن ذلك سوى القيام بواجب مقدس لو تدرين . واجب يشل يدي فيقصر قلمي عن بث ما يجول في خاطري

ولكني انتهز فرصة سنحت لي فاحدثك عما دار في خلدي من مدة سنين اشرفت من نافذة الملاحظة وقد سمعت صوت خاشخشة الثوب ووقع اقدام لطيفة فنظرت واذا فرق الاواس مارة كأنها سرب من الظباء برزت من مكامنها فما كان اجمل منظرها وهي سائرة من معاهد الاداب ورياض المعارف حيث كانت تجاهد وتقاتل الجهل والغباوة بحسام الجد والاجتهاد وكلها تحث اخواتي نحو اوطانها نزوعاً للنفس وتنزيهاً للخاطر فتفرست في وجوه بعضها واذا سمات الذكاء والنشاط بادية عليها واللطف والايناس يتدفقان من عيونها وفي غيرها واذا سحابة من الفشل تحيط بمحياها وهي تشكو بتذمر من معاملة تعاكس افكارها وتلك تظفر جذلاً وهي تحمل بيدها باقتخار الدبلوما المدرسية اعلاناً لانبائها الدروس المعينة فيها . صور بديعة متنوعة الاشكال مرت بي مشهد مني ابهجني اولاً وفرة عددها ثم منظرها الجميل حتى ثبت في لجة التأمل وقد توسمت بهذه المواكب اللطيفة كل خير للوطن العزيز ولا سيما لهذه الفئة الاخيرة صاحبة الدبلوما . فقلت من هذه الكوكبة الظافرة في ميدان العلم وقد ظهرت الى الوجود بهمة جديدة و برزت الى العالم لتبث بين اترابها بزور المعارف؟ من هذه التي يخطر اليها مريدوا الاصلاح بشوق وامل عظيمين وينتظرون منها ان تكون اكمل مثال وافضل عنوان معلقين عليها كل الامال

كيف لا اليست هي ابنة العصر التي تيسرت لها وسائط التعليم المأمول بها ان تظهر عنصر الكمال اذ تكون مثلية بحلى الاداب ومتشحة بوشاح التهذيب ؟ اليست هي المسئولة لدى الملا لقيام بواجب الخدمة الحقيقية ؟ فما اعظم سقطتها متى سقطت وما اكبر غلطتها متى غلطت . فانها تصبح عثرة هائلة في سبيل التقدم والارتقاء . ولا مراء في ذلك لانها كالثوب الابيض التي اقل لطخة تظهر عليه بوضوح تام

نعم انها شمس عليها ان تدير ظلمة الجهل حيثما حلّت ، ان تكون ممتازة باخلاقها فتنبذ العادات والتقاليد المضرة وتقاوم تيارها بقوة التهذيب ، ان تقاتل بحسام اجد كل المقاصد

ولا اخفي عنك ياصديقي الحسناء انه من شدة سروري بتأملاتي هذه الامال العظيمة قصدت زيارة احداهن لتهنئتها بفوزها المدرسي

فرأيتها بين ذويها في اشد حالات الفرح وهي مرتدية بثوب ناصع البياض جميل المتداء تنظر بسرور الى الاساور في يديها والى السلسلة والله بوس في صدرها والى الخاتم في اصبعها وكلها من الذهب الثمين جاءتها هدايا من والديها و بعض الاصدقاء.

فقلت في نفسي ان تقديم الهدايا في مثل هذه الظروف لعادة حسنة لانها تدل على تكريم منزلة المتعلمات وتشعر بمعرفة قيمة العلم وتكون واسطة لترغيب وتنشيط غيرهن انهاضاً لهمتهن على التحصيل . ولكني افكرت في عادة الفرنجيين في مثل هذا الاحوال وهداياهم كتب ومجلات اقراراً منهم بتفضيل المعارف وتقدير قيمتها لانها اثمن من اللآلي والذهب

ويلسف اقول اني عندما صرّحت بهذا لبعض المتخرجات وحثثتهن على الاشتراك في « الحسناء » او في « العروس » او في غيرهما مثل فتاة الشرق والجنس اللطيف لم يرق لهن الكلام بل اجبن دون خجل « ما لنا والمطالعة كفانا ما صرفناه من الوقت في المدرس والقراءة فلا نصدق كوننا تخلصنا من سلك الكتاب فقد نلنا الشهادة وماذا نريد بعد » جواب يحزن النفس ويخيب الرجاء . وهكذا يترك الكتب جانباً و يهمل المطالعة متوهمات انهن تعلمن كل شيء وقد فاتهن ان ما تعملنه هو راس مال ينقص ثم يفقد ان لم ينظم بكثرة المطالعة بل نرى مشتغلة تخدم سواريتها وتنطفي ان لم يزدنها وقيداً فلا عجب والحالة هذه اذا لم يحرز على مثل هؤلاء رونق من الزمان حتى ينسين ما احرزنه من المعارف ويتخرطن في سلك الجاهلات و يذهب تعبهن في سنين المدرس سدى

اما المتخرجة الغربية فانها تقبل عاكفة على العروس مواظبة على المطالعة دون ان تهمل ما عليها من واجبات البيت فترتب اوقات الشغل ولا تضيع وقتاً بلا جدوى فتزداد استنارة وتُرقّاه .

حقاً ليس من يتكر على الابنة السورية الذكاء الطبيعي والبراعة في قوة التقليد والاقتباس فها انها قد جارت الغربية في اتقان تيابها على آخر زي وفاقتها في النفن بمقص شعرها وفي الاشغال اليدوية وفي اعمال تحسب عند التحقيق تافهة ليست من دواعي الارتقاء الصحيح الناهض الوطن فقد فقدتها في بعض الشؤون الظاهرة فقط ولم تسبر العمق فلم